قراءة في كتاب الأصوات اللغوية –إبراهيم أنيس-

Reading in the book Linguistic Voices - Ibrahim Anis -

بوديار شيماء-Boudiar.chaima@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي1945، قالمة
غريب ميار- Ghrieb.mayar@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي1945، قالمة

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر:2021/01/01

ملخص:

نعمة البيان هي لأجل النعم التي أكرم الله بها الإنسان، تبدو هذه النعمة في أبهى صورها في الصوت الإنساني باعتباره مادة الكلام، وقد بدأ الإنسان التفكير في أمر تلك الوسيلة العجيبة التي حياه بها منذ أقدم العصور، لكن ما يميز العصر الحديث كنه الاختصاص مثل ما يسمى ما يسمى علم الأصوات يختص بدراسة الأصوات اللغوية "مخارجها وكيفية حدوثها وصفاتها النطقية"، ومن المؤسسين الأوائل الذين نظروا له إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" مستخدما جانبا تعليميا يهدف إلى تقديم المفاهيم النظرية مراجعا الحصيلة العربية ومن هنا تهدف المداخلة إلى قراءة كتاب إبراهيم أنيس وتقويمه من خلال توجهات اللسانيات التمهيدية.

كلمات مفتاحية: اللسانيات التمهيدية- المراجعة التقويمية- الأصوات اللغوية- إبراهيم أنيس.

Abstract:

Language is the best fervor given to humans. One of its specific aspects is sound considered as speech material. Researchers have studied sound since, antiquity; but in the recent decades the sound studies are more specialized and called phonology which is a part of linguistics. Phonology describes how human sounds in his book “the linguistic sounds” for are pedagogical a revision for the Arabic theoretical nations. This contribution aims to propose assessment to this works in the light of preliminary linguistics tendencies.

Key words:preliminary linguistics,assessment, linguistics sounds, anis Ibrahim.

1. مقدمة:

تأثرت الدراسات اللغوية العربية وأخذت سبيلها المنهجي في رحاب التحول الذاتي للنظرية الغربية الحديثة، التي أثرت بشكل جذري في توجيه مسار البحث اللساني العربي الحديث، بدءً من استقصاء المناهج التي تعد ركيزة البحث اللساني، فقد مهدت لسانيات دي سوسير من خلال مؤلفه (محاضرات في علم اللغة) لنشوء لسانيات جديدة، يتزعمها باحثين متخصصين في البحث اللغوي، سبب حرصهم واهتمامهم باللسان ودراسته دراسة وصفية موضوعية، فكانت المؤلفات التي كان لها السبق في تقديم اللسانيات إلى القارئ العربي في قالب لغوي يسير.

وقبل التطرق إلى الكتب الأولى التي قدمت اللسانيات إلى القارئ العربي وجب التعرف على ماهية اللسانيات التمهيدية وموضوعها وإلام تهدف، ثم عرض بدايات الاتصال بالفكر اللغوي الغربي وتأثيره في العقل العربي.

الكتابة اللسانية **(التيسيرية)** طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها، لذلك من الطبيعي أن يشكل ها النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء[1]، يقول إسماعيل علوي "إن متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية قارئ مبتدئ غايته التعرف إلى مبادئ اللسانيات باعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في هذا اللون من الكتابة أ يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ وإثارة انتباهه وإغرائه بعبارات محبوكة توحي إلى التبسيط والتسهيل، وتروم الانتفاع، لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ.[2]

يتشكل موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة ومناهج تحليل اللغات الخاصة،

تروم إلى تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي وتقريبها منه سواء أكان مبتدئا يلج عالم التخصص في اللسانيات ام قارئا ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة مها في مجالات معرفية أخرى كتحليل النصوص الأدبية أو المناهج النقدية أو التاريخ وغيرها...، معتمدة في ذلك على

المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح، وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة من أمثلة ورسوم بيانية[3]، مما يستوجب أن يكون كل مؤلف من المؤلفات التمهيدية بنية خطابية علميا ومنهجيا بدءا بعنوان الكتاب، مرورا بمقدمته وعناوين أقسامه وفصوله وصولا إلى خاتمته[4]، وبذلك تكون قد نجحت في تطوير منهج علمي متماسك له أدوات واضحة، وإجراءات قوية، ومصطلحات مستقرة...[5]

ويمكن أن نميز في الكتابات اللسانية العربية التي تسعى إلى امتلاك حجية النظر النقدي بين ثلاث اتجاهات كبرى هي:

-**كتابة نقدية عامة:** موضوعها الكتابة اللسانية العربية بشكل شمولي.

-**كتابة نقدية خاصة:** تتجه صوب أحد الاتجاهات اللسانية، أو أحد اللسانيين.

-**كتابة نقدية مؤسسة:** تروم على إعمال النظر في الكتابة اللسانية العربية ونقدها وتقويمها، بالاستناد إلى أسس واضحة المعالم[6].

أما بخصوص معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة التي حول: الموضوع، والمنهج، والغاية، فإنها تعمل في عمق التحليل الابستمولوجي، وعلى الرغم من المساهمة المعتبرة للسانيات التمهيدية في تقدم البحث اللساني العربي في بعض مناحيه، فإنها لم تسلم في نظر الباحثين من بعض الهفوات التي تتلخص في:

-الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني، الذي يرجع إلى طبيعة المصادر التي تعتمدها بعض الكتابات التمهيدية، وهي مصادر عامة نسبيا عن اللسانيات بمعناها الدقيق.[7]

-غياب تقنيات التحليل اللساني حيث يشكل الجانب التقي أحد الجوانب الأساسية التي تتوسل بها اللسانيات إلى فرض منهجية عملية التحليل.

-عدم مواكبة النظريات اللسانية[8].

بعد أن عرفت اللسانيات العربية تطورا ونضجا مستمرا في قرون متلاحقة، دخلت بعدها في مرحلة ركود وسبات عميق بسبب عوامل مختلفة حضارية سياسية واقتصادية وثقافية، أثرت هذه الأخيرة في الإنتاج الفكري العربي برمته، وانتقل النشاط اللغوي العربي من قمة الإبداع والإنتاج العلمي في مختلف قضايا اللغة إلى حضيض الاجترار

والجمود الفكري، لتنتقل بعدها عوامل الازدهار في أوروبا بعدما عرفت نهضة في شتى المجالات وبشكل خاص في العلوم والصناعات، ثم سنحت الفرصة من جديد للعرب أن ينظروا في لغتهم ويبحثوا فيه، ولكن بشكل مختلف عن الدراسات العربية القديمة[9].

وخلال الأزمة التي عاشتها الحضارة الإسلامية في القرن 19 وبدايات القرن 20، بدأت تظهر البواكير الأولى للتجديد في شتى العلوم استجابة لدعوة الإصلاح، حيث اختلفت الرؤى حول طريقة هذا التجديد بين من يرى أن ذلك يكون بالعودة إلى الأصول اللغوية القديمة، ومن يرى الاستفادة من اللسانيات بما يخدم الدرس اللغوي العربي، فكانت اللسانيات هي الجديد الفعلي الذي جاء به الفكر الغربي الحديث في مجال البحث اللغوي[10]، و بداية احتكاك اللسانيين العرب بالنشاط اللساني الغربي تتمظهر بدءا من عودة رفاعة الطهطاوي من فرنسا، وتأليفه كتاب(**التحفة المكتبية لتقريب اللغةالعربية)**، الذي اتبع فيه نمط الفرنسية في تأليف النحو، وكتابات جرجي زيدان من خلال كتاب(الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية 1886 وكتابه ، ثم إبراهيم مصطفى الذي تأثر بابن مضاء فتابع دعوته المعتمدة على مبدأين:

النحو هو قانون تأليف الكلام ورفض الفلسفة الكلامية (نظرية العامل)[11].

فإذا كان لرفاعة الطهطاوي دور الريادة في الاتصال بعلوم اللغة الغربية والاستمداد منها، فإن انشاء الجامعة الأهلية 1908م وما استوجبه من استقدام المستشرقين للتدريس بها يمثل رافدا أساسيا للاتصال بعلوم اللغة السائدة آنذاك، إذ كان منهج علم اللغة التاريخي اللغات السامية هو الشغل الشاغل للمستشرقين أمثال **أنو ليتمان وبرجستراسر[12]، من خلال**خلال إدخال نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، حيث شكلت بحوثهم إطارا مرجعيا لجملة من البحوث الدراسات اللغوية العربية[13].

إن الحديث عما يعرف باللسانيات العربية الحديثة، فينبغي أن يقتصر على جملة المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفها اللسانيين العرب منتصف الأربعينيات من ق20، وفيها بدأ الاتصال والتعرف على مناهج النظر اللساني الغربي الحديث، وإن كان هذا فإن نشأتها تتحدد بعودة الباحثين المصرين من الجامعات الأوروبية[14]، وكان الاتصال الأول

للثقافة العربية بالمنهج الوصفي، إثر عودة البعثات الطلابية من الجامعات الأوروبية إلى مصر، فكان من بينهم من تخصص في اللسانيات أو فروعها، ومن تتلمذوا خصوصا على يد فيرث بلندن، وثم الاتصال بالجامعات التي كانت تعيش جو يسوده الاتجاه التاريخي المقارن، من كل ناحية تجسده أعمال المستشرقين الذين ركزوا على هذا الجانب من الدراسة ما عدا بعض الإشارات في محاضرات برجستراسر إلى المنهج الوصفي من خلال حديثه عن النظامية[15]

ويؤرخ لبداية هذا المنهج لعودة إبراهيم أنيس (1906-1976)، حيث سار هذا المنهج وترسخ في الثقافة العربية بفضل جهود تلامذته، وجهود العائدين الجدد من المدرسة نفسها التي تخرج منها أستاذهم، وكان من أبرز هؤلاء: عبد الرحمان أيوب- تمام حسان –كمال بشر – محمود السعران.[16]

وعلى هذا فإن جماع ما تفرق من رؤى نخبة من العلماء اللسانيين المتميزين في الثقافة العربية ممن خبروا اللسانيات في بلادها وعايشوا مرارتها ونكساتها في الثقافة العربية، فمن أقدر منهم على رسم صورة اللسانيات في الثقافة العربية؟ وهؤلاء اللسانيين يمثلون جيل الريادة في هذا العلم منذ دخوله الثقافة الغربية مطلع النصف الثاني من ق20 المنصرم[17]، مدركين أهمية اللسانيات في البحث اللساني العربي وضرورتها باعتبارها المرجعية التي تُقاس على ضوئها الكتابات اللسانية العربية الحديثة، وتصحيح مسارها وتقويمها.[18]

وبهذا دخلت اللسانيات رحاب الثقافة العربية، وتبع ظهور كتاب عبد الواحد وافي "علم اللغة" الذي استأثر الريادة في مجال التأليف اللغوي الحديث باللغة العربية، مؤلفات لغوية أخرى تتفاوت من حيث قيمتها العلمية والمنهجية وتخلف من حيث منظورها للقضايا اللغوية المعروضة بشكل عام وباللغة العربية بشكل خاص، بعد كتاب عبد الواحد وافي صدر كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس سنة 1947[19]، باعتباره أول من بدأ سياق وصف المنجز اللساني العربي اللغوي.

ومن ذلك التاريخ كانت الانطلاقة لوضع المؤلفات اللغوية باللغة العربية على ضوء ما جاءت به اللسانيات الغربية تحت مسمى" الكتابة اللسانية التمهيدية".

قراءة في كتاب إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية":

من اهتمامات اللسانيات التمهيدية العنوان والمقدمة كونهما أول المؤشرات التي تتحاور مع المتلقي فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول العلمي والمعرفي، وإليهما توكل مهمة نجاح الكتاب في إثارة القارئ أو نفوره.

أولا-العنوان: هو أول لقاء بين القارئ والكتاب وهو رأس العتبات ومدار التحليل، إذ لا ولوج إلى النص إلا من خلاله، فالمتلقي يكون تابعا للمقصدية أو المرجعية التي يحملها العنوان، وعليه يظل العنوان هو اللافتة الدلالية والمدخل الأولي الذي يقود إلى استكشاف أغوار النص أو الكتاب واقتحام عوالمهن لأن المتلقي يدخل إلى العمل من بوابة العنوان مؤولا له، وموظفا خلفيته المعرفية في استنطاق دواله الفقيرة،[20] ولأهميته أصبح ضرورة ملحة ومطلبا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه[21].

الأصوات اللغوية: دكتور إبراهيم أنيس من جامعة لندن، مدرس بكلية دار العلوم، مطبعة نهضة مصر.

ثانيا-المقدمة:المتلقي هو الغائب الحاضر في كل عملية تأليف، ولمقدمة هي الصورة المثالية التي يتطلع الكاتب إلى انجازها، وعليها يترتب نجاح المتلقي أو فشله.

إبراهيم أنيس من أوائل المبعوثين المصريين لدراسة علم اللغة دراسة متخصصة، في جامعة لندن، ألف متاب الأصوات اللغوية ونسبه إلى فرع الفونولوجيا، أشار أهمية الدراسة الصوتية القديمة وأومأ بأنه أضاف من الثقافة الغربية.

ابتدأ **إبراهيم أنيس**[22] **كتابه الأصوات اللغوية** بظاهرة الصوت فعرفه بأنه: "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها"، ثم ذكر أن أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات، حيث تنتقل في وسط غازي أوسائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الإنسانية.

وسرعة الصوت حسب تقدير العلماء تصل إلى 332 متر في الثانية، حتى تصل إلى الأذن، أي المدة الزمنية التي يستغرقها الصوت م مصدره إلى الأذن، ووضوح الصوت او ارتفاعه تتعلق بقرب مصدره للأذن، حيث تتوقف شدته على سعة الاهتزاز للجسم[23].

فالصوت درجات فقد يكون عميقا أو رفيعا حادا كما ورد في المقياس الأوروبي، وتتوقف درجة الصوت كما ورد العلماء على درجة الاهتزازات، فالصوت عند اهتزازه في الثانية أقل من الصوت الحاد.[24]

أما نوع الصوت عند إبراهيم أنيس فهو: "تلك الصفة الخاصة التي تميز صوتا من صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة".

تحدث إبراهيم أنيس عن الصوت الإنساني فقال: أنه ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة. فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيصدر الصوت من الفن أو الأنف عبر الهواء ليصل إلى الأذن[25]، و ما ذهب إليه إبراهيم أنيس أن مصدر الصوت هما الوتران الصوتيان[26].

الصوت الإنساني:

إن ثالث ما تطرق إليه إبراهيم أنيس بداية الصوت، حيث يراها بحث طويل اضطربت فيه أقوال القدماء والمحدثين، لكنه اكتفى بالإشارة إلى أنه تناول نشأة الكلام في مقال له نشره في صحيفة دار العلوم العدد الرابع[27]، وكذلك في كتابه دلالة الألفاظ، يتحدث عن نشأة الكلام ويعتبرها أمر معقد، لم يتوصل إليه العلماء والباحثون يقول: "ففي كل العصور، ومنذ الحضارة الإنسانية القديمة والعلماء لا ينقطعون عن البحث في نشأة الكلام وأصله، ويفترضون في هذا الفروض ويحاولون في هذا التجارب حتى أوائل القرن العشرين حين بدأ العلماء ينصرفون عن هذا النوع من البحث ويرون أنه من مسائل وراء الطبيعة، وأن لا جدوى من الاستمرار فيه[28]."

أما عن أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي فابتدأ إبراهيم أنيس بتعريف السمع بقوله: هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات"[29].

لخص باحثنا مزايا حاسة السمع في إدراك الأشياء، وقدم مقارنة بين الحواس فيما يمكن أن يصل إليه الإنسان الذي فقد بصره من رقي لعقل، وبين آخر أصم فالنبوغ كثير الاحتمال

بين العمى من حيث أنه نادر بين الصم وإن كانوا مبصرين، لكن الإنسان لم يستغل حاسة السمع الاستغلال الكافي وذلك في العصور القديمة، أما الآن وبعد اكتشاف الآلات الحديثة كالراديو، أمكن أن يصبح السمع وسيلة من أهم وسائل التثقيف الشعبي. فبوساطة السمع يمكن للفرد اكتساب قدرة الكلام والأفكار أكثر مما يدركه بحاسة البصر، وقبل أن يرصد إبراهيم أنيس رسما توضيحيا لأجزاء الأذن والإشارة إلى أعضائها، وضع تقسيم علماء التشريح للأذن، فكانت الأذن الخارجية- الأذن الوسطى – الأذن الداخلية.[30]

والملاحظ في هذا أن للسمع أهمية كبيرة في إدراك الصوت اللغوي.

أعضاء النطق

وأول ما تناوله إبراهيم أنيس في الفصل الثاني **أعضاء النطق** مع شرحها مقدما في ذلك رسما توضيحيا لأماكن الأعضاء وفصل فيها:

مبتدئا الحديث **بالقصبة الهوائية** بقوله: كان يظن أن لا أثر لها في الصوت اللغوي، بل هي مجرد طريقة للتنفس لكن البحوث الحديثة برهنت على أنها تستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذي أثر بين في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان عميقا.

ثم تناول الأعضاء الأخرى بالوصف بقوله: "أما **الحنجرة** فقد عدها القدماء والمحدثون الأداة الأساسية للصوت الإنساني، لأنها تشتمل على الوترين الصوتيين، وهي عبارة عن حجرة متسعة نوعا ما مكونة من ثلاث غضاريف.[31]

الوتران الصوتيان: هما رابطان مرنان يشبهان الشفتين، يمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام

-**الحلق**: هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، يعمل على تضخيم بعض الأصوات بعد صدورها.

اللسان: كان ترتيبه المتأخر للسان شأن العلماء المحدثين، ربما من باب التدرج نحو الأبعد، فلقد تعود القدماء أن ينسبوا النطق إلى هذا العضو بصفة خاصة. قسمة العلماء إلى ثلاثة أقسام هي: أول اللسان بما في ذلك طرفه، والثاني وسطه، والثالث أقصاه[32].

الفراغ الأنفي- الحنك الأعلى-الشفتان-الرئتان.

الجهر والهمس:

الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان اهتزازا، وعكسه المهموس الذي لا يهتز معه الوتران، وفي ذلك يوضح باحثنا تجارب لاختيار جهر الصوت من خلال:

-وضع الإصبع فوق (تفاحة ادم)، ثم ننطق بصوت ساكن (بْ) سنشعر باهتزاز الوترين الصوتيين.

- نضع أصابعنا في أذاننا ثم ننطق بنفس الصوت وهو ساكن، نحس برنة الصوت في رؤوسنا.

-إذا وضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار، سيحس برنين الصوت، وذلك الرنين هو صدى ذبذبة الوترين الصوتيين.[33]

أما الفرق عند سيبويه بين المجهور والمهموس هو جريان النفس مع المهموس، واستحالة ذلك مع المجهور[34]، لم يتحدث سيبويه عن الأوتار الصوتية لانعدام الإمكانيات معتمدين على الملاحظة الذاتية.

ثم ذكر إبراهيم أنيس الأصوات الساكنة المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة وهي ثلاثة عشر: ب-ج-د-ذ-ر-ز-ض-ظ-ع-غ-ل-م-ن يضاف إليها أصوات اللين بما فيها الواو والياء.

والمهموسة هي اثنا عشر: ب-ث-ح-خ-س-ش-ص-ط-ف-ق-ك-ه[35]

والمجهورة عند سيبويه تسعة عشر هي: ء-ا-ع-غ-ق-ج-ي-ض-ل-ن-ر-ط-د-ز-ظ-ذ-ي-ب-م-و-، والمهموسة عشرة هي: ه-ح-خ-ك-ش-س-ت-ص-ث-ف

نلاحظ أن الفرق بسيط بين القدماء وما توصل إليه لمحدثين، فحرف ط و ق حرفين مجهورين عند سيبويه، وعند إبراهيم أنيس مهموسان، اما الهمزة والألف لم يُذكر عند باحثنا في تصنيفه وعدهما سيبويه من المجهورة.[36]

يرى إبراهيم أنيس أن لبعض الأصوات المجهورة نظائر مهموسة مثل: د-ذ-ز-ض-ع-غ.التي نظائرها المهموسة وهي: ت-ث-س-ط-ح-خ، كما أدرج الأصوات ماهو مجهور ولا مهموس في العربية الفصحى: ب-ج-ظ-م-ن، وما هو مهموس ولا مجهور مثل: ش-ص-ف-ق-ك-ه.

أما عن صفات الأصوات فتحدث إبراهيم أنيس عن الصوت الشديد باصطلاح القديم الذي يقابله الانفجاري عند المحدثين[37]، والأصوات العربية الشديدة كما تؤيدها التجارب الحديثة هي: ب-ت-د-ط-ض-ك-ق والجيم القاهرية[38]، أما الجيم العربية الفصيحة فيرى باحثنا أن صوتها الانفجاري يختلط بنوع من الحفيف يقلل من شدتها، وذلك ما يسميه القدماء بتعطيش الجيم، وذلك ما يقابل الأصوات الرخوة، فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقا جدا، وتسمى عند المحدثين بالاحتكاكية[39]، وهي الأصوات الشديدة ما عدا اللام والنون والميم والراء، ولعل هذا هو الذي دعا القدماء إلى أسميتها بالأصوات المتوسطة، وقد برهن المحدثون من علماء الأصوات بتجاربهم على إن هذه الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لا هي شديدة ولا الرخوة المائعة، ومع ان القدماء زادوا حرف العين فإن إبراهيم أنيس يرى أمما لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين لقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق، لكن نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها[40].

والأصوات الرخوة في اللغة العربية هي: س-ز-ص-ش-ذ-ث-ظ-ف-هـ-ح-خ-ع.[41]

الأصوات الساكنة وأصوات اللين:

كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية ومنهم إبراهيم أنيس تقسيمها إلى قسمين رئيسين سموا الأول الأصوات الساكنة والثاني أصوات اللين، يعتمد هذا التقسيم على الأساس الصوتي، أي نسبة وضوح الصوت في السمع، هذا فليست كل أصوات اللين

ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي منها الواضحة والضيقة فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة، وكذلك الأمر بالنسبة للأصوات الساكنة فالأصوات المجهورة أوضح في السمع من الأصوات المهموسة.[42]

ومن النتائج التي توصل إليها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين، المسماة عند البعض أشباه أصوات اللين.[43]

يرى إبراهيم أنيس أن أصوات اللين هي ما اصطلح عليها القدماء بالحركات، من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سموه بالألف اللينة والباء اللينة والواو اللينة، وما عدا هذا فأصوات ساكنة، استعمل إبراهيم أنيس أصوات اللين بدل الحركات[44]، قاصدا بذلك المتخصصين مبرهنا على ذلك في ما ذكره في مقدمة كتابه (موسيقى الشعر) فيقول: ولا يفوتني أن أشير في هذه المقدمة إلى أي قد اثرت هنا، تسهيلا على عامة القراء، أن اسمي ما يسميه الأوربيينبالحركات قصيرها وطويلها، وما يسمونهبالحروف[45].

مقاييس أصوات اللين

لاحظ المحدثون الأصوات التي تختلف من لغة لأخرى اختلافا يجعل النطق باللغة الأجنبية عسيرا يحتاج إلى مران، وهذه الأصوات كثيرة الدوران والشيوع، واي انحراف عن أصول النطق بها سيبعد المتكلم عن الطريق المألوف بين أهل هذه اللغة، فأقل انحراف في نطقها لأصوات اللين في اللغة الانجليزية، يجعل نطقها كمصريين لهذه اللغة غريبا لا تستصيغه الأذن الانجليزية، فلقد ذكر باحثا الصعوبات التي يمكن أن يصطدم بها المصري في تعلم اللغة الانجليزية لأصوات اللين، لذلك اضطروا لاستنباط مقاييس عامة لأصوات اللين، وأول من المقاييس هو مقياس (**دانيال جونز**) وأول من طبقه على أصوات اللين هو إبراهيم أنيس.[46]

أصوات اللين في العربية:

يرى المحدثين أن القدماء لم يولوا اهتماما لأصوات اللين رغم أهميتها، مقارنة الأصوات الساكنة، فقد كانت الإشارةإليها سطحية لا على أنها من بنية الكلمات، مع مرور الزمن أحس كتابهم بأهمية أصوات اللي الطويلة كالياء والواو الممدوتين[47].

يقول كمال بشر في هذا الصدد: "أما الحركات القصار فلم تحظ بهذا القدر الكبير من الاهتمام إذ إنها قد حرمت منذ البدء من علامات كتابية مستقلة في صلب الكلمة، أو قل لم تكن لها علامات على الإطلاق."[48]

ومع ان القدماء لم يهتموا بأصوات اللين نرى ان إبراهيم أنيس يستند عل رأي ابن في كتابه سر صناعة الاعراب في حديثه عن الحركات، فالقدماء اهتموا بتلك الظاهرة لكن لم يخصصوا لها علامات مذ البداية، حتى انهم لم يفرقوا بين الفتحة والالف اللينة، والكسرة والياء للينة، والضمة والواو اللينة، ثم ذكروا ان الفرق يكمن في الكمية فقط.[49]

وإبراهيم أنيس في هذا قام بعملية تطبيقية فقاس أصوات اللين العربية على ذلك معتمدا على قراءة المجيدين المصريين.[50]

الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها: الأصوات الشفوية(، م، ب)، الأصوات الشفوية الأسنانية(ف)، الأصوات اللثوية(ذ، ث،ظ)، الأصوات الذلقية(ل، ر، ن)، الأصوات الأسلية (س، ز،ص)، أصوات وسط الحنك(ش، ج)، أصوات أقصى الحنك(ك، ق)، الأصوات الحلقية(غ، خن ع،ح، ه)، الأصوات النطعية(د،ض،ط،ت).[51]

إثر ابراهيم انيس تناول الاصوات الساكنة في اللغة العربية حسب مخارجها، وكيفية النطق بها فعالجها على النحو التالي:

الأصوات الشفوية: الباء والميم والباء حرف شديد مجهور، وهو عند القدماء ثل السكون أضافوا إليه صوت لين قصير جدا يشبه كسرة تحت مسمى القلقة[52]، أما الميم فصوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة،

الصوت الشفوي الأسناني: الفاء

الاصوات اللثوية: الذال صوا رخو مجهور، الظاء هو مثل الذال إلا انه في حالة النطق به

يرتفع طرف اللسان واقصاه نحو الحنك، ويتقعر وسطه، وهذه الصفة التي تسمى الاطباق هند القدماء.

الدال: صوت شديد مجهور

الضاد: يرى ابراهيم انيس ان الضاد التي وصفها عند القدماء تخالف التي تنطق بها الان كما شرحها سيبويه بان الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الايم وإن شئت تكلفتها من الجانب الايسر، يؤكد باحثنا ان الضاد القديمة قد اصابها بعض التطور حتى اصبحت كما نسمعها من نطق اهل مصر.

التاء: صوت شديد مهموس ونظيره المجهو الدال

الطاء: احد اصوات الاطباق شديد مهموس يشبه التاء في تكونه الا اللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقا تحو الاعلى، والطاء القديمة مجهورة كما صنفها سيبويه، ويرى ابر ابراهيم انيس ان الطاء عند القدماء لا يمكن ادراكه ولا طريقة نطقه، لا يستنتج وصفهم انها تشبه الضاد.[53] .

الأصوات الذلقية :

اللام: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة.

الراء: صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، يتميز بأنه حرف مكرر

النون: صوا مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ، خصت كتب القراءات ببحوث خاصة بأحكام النون من إظهار وإخفاء وإدغام.[54]

الجيم: صوت مجهور قليل الشدة، تطور هذا الصوت في اللهجات العربية الحديثة.[55]

أصوات أقصى الحنك:

الكاف: صوت شديد مهموس ونظيره الجيم القاهرية

القاف: تطور صوت القاف بعدما كان مجهورا في القديم، ولأصبح صوت شديد مهموس.

الأصوات الحلقية:

يرى إبراهيم انيس أن أصوات الحلق لم تحظ بعناية المحدثين والأصوات كالتالي:

الغين-الخاء –العين-الحاء.

طول الصوت اللغوي: من ابرز الظواهر اللغوية التي يترتب عليها النطق الصحيح بلغة من اللغات "طول الصوت" الذي عني به المحدثون في تجاربهم، ويقصد به المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بالصوت، ويقدر عادة بجزء من الثانية فقد ذكروا) (الدال) المتطرفة في الانجليزية عند النطق بها تستغرق حوالي05 من الثانية، بينهما يستغرق صوت اللين مدة أطول تبلغ حوالي 43 من الثانية.[56]

يرى إبراهيم أنيس أن هناك عوامل تؤثر في طول الصوت اللغوي منها: النبر ونغمة الكلام، وانه من الواجب تحديد نسبة إطالة الصوت عن تجارب حديثة تستخدم فيها آلات القياس الحديثة بدلا من القياس الاجتهادي المتمثل في العد بالأصابع عند بعض القراء.[57]

المقطع الصوتي:

والمقاطع الصوتية نوعان: متحرك وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، وساكن هو الذي ينتهي بصوت ساكن، نحو ملمة 'فَتَحَ' تتكون م ثلاثة مقاطع متحركة، فيحين أن مصدر لك 'فتحٌ' يتكون من مقطعين ساكنين/ وجد المحدثين صعوبة في تحديد بداية المقطع ونهايته، لكنهم استطاعوا تحديد وسطه أو جزء منه فترتب عن ذلك أن قسموا الأصوات إلى ساكنة وأصوات لين، والكلمة في العربية لا تزيد على سبع مقاطع (أنلزمكموها)،

أما في مسألة النبر فقد اختلف اللسانيين المحدثين في دراسة اللغويين القدامى للنبر على مذهبين:

الأول: اللغويين القدامى لم يدرسوا النبر ويمكن أن يعزى هذا الرأي لأكثر المعاصرين يقول تمام حسان: أن القدماء لم يسجلوا شيئا عن النبر وان دراساه في العربية فيها مجازفة.

ويؤكد حسام البهنساوي خلو الدراسات اللغوية العربية من بحوث عد القدماء حول النبر وقواعده ووظائفه، فلم يستعمل العرب مصطلح النبر بهذا المعنى على الرغم من وروده في بحوثهم الصوتية للدلالة على تحقيق نطق الهمز[58].

عرفه إبراهيم أنيس ب: "والمرء حين ينطق بلغته، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر.[59]"

موسيقى الكلام: لقد برهنت التجارب الحديثة أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، إذ تختلف فيها معاني الكلمات لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها[60]، والجدير بالذكر أن إبراهيم أنيس هو أول من ادخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية وسماه **موسيقى الكلام**، لكنه لم يفصل في الحديث عنه في كتابه الأصوات اللغوية.

المماثلة: يرى إبراهيم أنيس أن الأصوات اللغوية تتأثر بعضها البعض، وذلك ما يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة ليزداد مع مجاورتها قرب المخرج أو الصفة[61]، وقد تفطن القراء إلى هذا منذ القدم ذاكرا في هذا الموضوع على كتاب '(النشر في القراءات العشر) لابن الجزري، مرددا ما ذكره ابن الجزري من تحذير المتعلمين من الانحراف في نطق بعض الأصوات العربية، كالجيم والسين وغيرها.

ومن المصطلحات التي أتى بها باحثنا (**درجات التأثر**)، وهي أن الأصوات المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها ببعضها البعض، فقد لا يعدو التأثر أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس.[62]

قرر بعض من المحدثين انه قد يتجاور صوتان لغويان، ويتأثر الأول بالثاني مصطلحين على ذلك بالتأثر الرجعي ويكون في اللغة الفرنسية واللغة العربية، وأحيانا يتأثر الصوت الثاني بالأول واصطلحوا عليه التأثر الرجعي ويكون في اللغة الانجليزية ويوجد في اللغة العربية، أما النحاة فيشيرون إليه بالإبدال القياسي على صيغة (افتعل).[63]

التطور التاريخي للاصوات:م أصوات العربية ما أصابه نوع من التطور لاعتبار صفته القديمة حتى اصبر كما ينطق الان، فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال حتى إنه من الصعب التفريق بين الضاد والدال إلا في الاطباق، كذلك القاف والطاء القديمتين تطورا

فأصبحتا مهموستين في النطق الحديث، وكذا تطور الجيم العربية إلى القاهرية الخالية من التعطيش، أو الجيم الشامية شديدة التعطيش[64]،

فالنحاة وأصحاب المعاجم رووا كلمات مثل: **صراط وسراط، لعل ورعل**، يرى باحثنا انه من العسير الحكم على أصالة إحدى الكلمتين لتبرير التطور الصوتي، مشيرا إلى طريقة واحدة تكون هي الأصل يقاس عليه، وذلك محال لان النحاة في الغالب لا ينسبون النطق إلى قبيلة معينة فمن الصعب تمييز الأصل عن الفرع.[65]

ومع أن ابن جني تحدث عن مثل هذا في كتابه (الخصائص) وسماه (الاشتقاق الأكبر)، فإن إبراهيم أنيس يقترح أن تقوم بحوث خاصة في اللهجات العربية بتوضيح أمور ثلاثة:

-الصوت الأصلي وما تطور إليه/الأصوات التي ليس بينها أصل وفرع/ الكلمات التي تشابهت أصواتها لمجرد المصادفة ولا علاقة بينها من الناحية الاشتقاقية[66].

من البحوث التي قام بها المحدثون ما يخص المخالفة التي تعني أنصوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدها إلى صوت أخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين مثل: تظنيت= تظننت، يتمطى= يتمطط، ومن القدماء من فطن لهذه الظاهرة وهو سيبويه في باب سماه(باب ما شذ فأُبدل مكان اللام ولكراهية التضعيف وليس بمطرد)، إلا أن باحثنا يرى أن تلك الإشارات لا تكفي فالأمر أكبر من ذلك بنظرة سريعة في كتب اللغة وقواميسها وجمع منها عشرات الأمثلة.[67]

خاتمة:

نستنتج أن إبراهيم أنيس حاول تطبيق مناهج علم اللغة الحديث في الوطن العربي، من خلال مؤلفه "الأصوات اللغوية"، درس فيه الأصوات دراسة تاريخية مقارنة، واصفا دراسة القدماء وقارنها بما توصلت إليه الدراسات الحديثة، وخرج بجملة من الملاحظات النظرية تدعمها الشواهد اللغوية، فقد كان فاتح الكتب الصوتية المتخصصة الحديثة فهو متكامل، ألف باللغة العربية تميز بحصر أراء القدماء والمحدثين وجوانب صوتية مهمة.

5. هوامش البحث:

[1]د.حافظ إسماعيل علوي:اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة-دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، سنة 2009، ص99.

[2]المرجع نفسه، ص104.

[3]مصطفى غلفان: اللسانيات أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2013م، ص62.

[4]د.حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص99.

[5]المرجع نفسه، ص112.

[6]د.ينظر:حافظ اسماعيلي علوي: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة1430هـ-2009، ص187-ص194.

[7]المرجع نفسه، ص272.

[8]المرجع نفسه، ص273، ص274.

[9]د.عيسىشاغة: الجهود اللسانية العربية الحديثة، محاضرات في مادة اللسانيات العربية-المحاضرة السادسة-، سنة2019-2020، ص01

[10]لشخب زين الدين: المناهج اللسانية وأثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة، بحث ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية-أدرار، سنة2016، ص35.

[11]د.أحمد عبد العزيز دراج: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد، كلية الاداب، جامعة القاهرة، سنة 1429هـ-2003، ص140.

[12]المرجع نفسه، ص141. (برجستراسر: مستشرق ألماني مسيحي، برز في نحو العبرية واللغات السامية عامة، عني بدراسة اللهجات العربية وقراءة القران، ولد في 5أفريل سنة 1886 بألمانيا).

[13]ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشاة الدرس اللساني العربي-دراسة في نشاط اللسان العربي-، ايتراك للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2004، ص

[14]المرجع نفسه، ص12

[15]قالمي صليحة: اشكالات التلقي في الكتابة التوليدية العربية المعاصرة مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، سنة2016-2017، ص9.

[16]المرجع نفسه، ص10

[17]مصطفى غلفان، أسئلة اللسانيات، ص14

[18]مبروك بركات: النقد اللساني العربي-دراسة تقويمية للبحوث النحوية الحديثة، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم فب اللغة والادب العربي، جامعة قلصدي مرباح، ورقلة، سنة2016-2017، ص05

[19]قالمي صليحة: اشكالات التلقي في الكتابة التوليدية المعاصرة، ص10

[20]محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، سنة 1998، ص19

[21]عبد القادر رحيم: العنوان النص الابداعي أهميته وأنواعه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص10

[22]ابراهيم أنيس(1906-1978) لساني مصري، تحصل عل شهاد الدكتو اره من لندن، له سبعة كتب زائدة هي: الأصوات اللغوية –في اللهجات العربية –موسيقى الشعر – من أسرار اللغة –دلال الألفاظ – محاضرات ع مستقبل اللغة العربي المشتركة –اللغة بين القومية والعالمية -

[23]اد.ابراهيم انيس: الاصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، سنة ، ص05.

[24]المرجع نفسه، ص06.

[25]المرجع نفسه، ص07.

[26]المرجع نفسه، ص08.

[27]المرجع نفسه، ص 11.

[28]د.ابراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، سنة1976، ص13.

[29]ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص13.

[30]المرجع نفسه، ص15.

[31]المرجع نفسه، ص18.

[32]المرجع نفسه، ص19.

[33]ينظر: المرجع نفسه، ص،21.

[34]سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل-بيروت، دط، ج4، ص434.

[35]ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص22.

[36]ينظر: الأصوات اللغوية، ص22، وينظر سيبويه، ص434.

[37]المرجع نفسه، ص24.

[38]الجيم القاهرية هي الجيم التي تخرج من أقصى الحنك من التعطيش، ينظر.

[39]المرجع نفسه، ص25.

[40]المرجع نفسه، ص26.

[41]المرجع نفسه، ص26.

[42]المرجع نفسه، ص27.

[43]ينظرالمرجع نفسه، ص28.

[44]ينظر: المرجع، ص28ت 29.

[45]د.ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ط2، سنة1952، ص04.

[46]المرجع نفسه، ص30

[47]المرجع نفسه، ص38

[48]د.كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، سنة 2000، ص17.

[49]ينظر: الأصوات اللغوية، ص39، ص40.

[50]المرجع نفسه، ص41

[51]، ينظر: المرجع نفسه، ص47، ص52

[52]

[53]ينظر: ابراهيم انيس، ص53

[54]ينظر: خليل ابن احد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، دطن دار ومكتبة الهلال،ج1، ص54-59.

[55]ينظ: المرجع نفسه، ص66-67.

[56]المرجع نفسه، ص80.

[57]المرجع نفسه، ص82.

[58]حسن ين جابر القرني: النبر في العربية، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الملك سعود، المجلد الثالث،العدد34، ص541.

[59]الأصوات اللغوية ص98.

[60]المرجع نفسه، ص103.

[61]المرجع نفسه، ص106

[62]المرجع نفسه، ص 111.

[63]ينظر: المرجع نفسه، ص108، ص109.

[64]المرجع نفسه، ص135.

[65]المرجع نفسه، ص137.

[66]ينظر: المرجع نفسه، ص138.

[67]ينظريك المرجع نفسه، ص139، ص140.